

(٥) بنو تميم في سماء العروبة

للمؤلف عبد العزيز مزروع

المدرس بالقبة الثانوية

(١) المصارعات اللغوية (٢) تطبيق قوانينها على قريش والعرب (٣) اللغة الألمانية والسويسرية (٤) اللغة الفرنسية والسلتية في مقاطعة بريتون بفرنسا (٥) اللسان السلتي والانجليزى في أيرلندة (٦) كيف استولى القرشيون على مفاتيح الكعبة ؟

(١) جمعتى المصادفات السعيدة بكبير من أصدقائى الدكارة ، فقال لى ...
اطلعت على كتابك فى (لهجة بنى تميم) ومحاولتك السمويهم على قريش ولهجتها ونسيت أن القرآن نزل بها ، لأنها كانت قد امتصت اللهجات الأخرى قبل ظهور الاسلام ، فإذا سمعت أن لهجة تميم كذا فاعلم أن الحق فى هذا أنها ليست لهجة تميم بل لهجة قريش فى لسان تميم وزيارهم ، أما لهجتها الأصلية فقد اندثرت نهائيا ١١ فما كتبت فى عدد أبريل سنة ١٩٤٧ وما بعده من موازنتك بين لهجة تميم وغيرها ونسبة هذه اللهجة إليهم فيه مبالغة ١١
وكيف تنفس على قريش منزلتها الدينية مع أن العرب هى التى أسندت إليها الشرف طواعية ، لما رأيت من منزلتها الاجتماعية والأدبية والاقتصادية
فهذا يا (مزروع) نوع آخر من تمصيك لقومك التميميين ١١

ردى

فشكرت للبحاثة تفضله بالاطلاع على كتابى ، وأكدت له أن ما فيها نتاج مباحث واصلت فيها سواد الليل بينياض النهار منين طويلة ، وطلبت إليه أن يسمع الرد الثانى المفصل فى عدد نال وهأنذا أفى بالعهد، إن العهد كان مستولا .

قرر البحتة في تاريخ اللغات أن من عوامل الصراع القوي تجاوز شعبين مختلفي اللغة ، وفي هذه الحالة لا بد أن يتغلب الشعب القوي على الضعيف ، سواء أكانت قوة العدد ، أم قوة الحضارة ، أم النفوذ والجاه ، أم البأس والبطش ؛ ولا يتم النصر غالبا إلا بعد أمد طويل يصل أحيانا إلى أربعة قرون وهذا في الفتوح الحربية ، أما في غيرها فهو يمتد إلى أكثر قد يتناول إلى عشرة قرون .

وقريش كانت أقل عددا من تميم ، ولكنها عرفت كيف تستغل فرصة وانتهت فسمت للتغلب على منافستها المكبيرة (تميم) أما اليمن فقد كان القضاء عليها قد تم من قبل بأمد بعيد .

ولم تغلب (قريش) على من سواها حرييا لأنهم كانوا أميل القبائل العربية إلى المسالمة لانصرافهم إلى التجارة ورخاوة عيشهم ، فلم تكن الفتوح أيضا هي السبب في تغلب لهجتهم على من دونهم ، وهذا يستلزم ألا تقل مدة السيطرة عن ستة قرون على أقل تقديرو حتى تستطيع لهجتهم أن تمتص لهجات القبائل الأخرى .

وقريش بالإجماع لم تكن لها السيطرة على القبائل العربية إلا قرنين قبل الإسلام ، يضم إلى هذا أن الباحثين قرروا لتغلب اللغة نفسه على أخرى بدون حرب أن يتساوى الشعبان أو القبيلتان في الهمجية أو المدنية ولكن يزيد تعداد أحدهما عن تعداد الآخر زيادة كبرى .

و (قريش) لم تفز بتحقيق شرط واحد من هذه الشروط :

فهي لم تغلب على إحدى القبائل العربية حرييا فضلا عن بقية القبائل ولم يزد تعدادها على تعداد تميم أو ربيعة أو قيس عيلان بل قل بمراحل ، وهذا كاف لنقض دعوى القائلين بفناء اللهجات العربية كلها في لهجة قريش وقد يحلو لمترضى أن يقول :

كان مقتضى هذا ألا تكون اللهجة السائدة عند ظهور الاسلام (لهجتها) بل لهجة تميم مثلا أو ربيعة ؛ وألا يقول العلماء : إن القرآن نزل بلفظها !!

والواقع يخالف هذين ١١

والرد سهل ؛ لأن لهجة (بنى فهر) قد استندت إلى أساس متين من اللهجات المصرية لا يقل عن ٣٠٪ من اللهجة المنسوبة إليها ؛ ولأن قريشا كان لها منزلة أدبية واجتماعية واقتصادية لا بأس بها ، وفى خلال القرنين اللذين رسخ فيهما نفوذ قريش وضمت من المصطلحات التجارية والدينية مفردات وتراكيب بلغت نسبتها نحو ٣٠٪ أيضا وضمت إلى هذين العديدين نحو ٢٠٪ من لهجة (قومي بنى تميم) غرما قريش الذين كانوا المشرفين على مناسك الحج قبلها بعددهم وبأسهم وقضاتهم وحكامهم .

ثم ضمت إليها ١٠٪ أيضا مما اقتبسوه من لهجات القبائل الأخرى مما خفف وقعه ، ولأن لفظه ، وسهل أسلوبه ١١ وبذلك كملت تلك اللهجة القرشية

وزاد من قيمة الـ ٣٠٪ التى ابتكرها القرشيون فوق ما ورثوه عن آبائهم المضربين أنهم أشرفوا على عمليتي الاختيار والمزج ، فوق ما قدمنا من نفوذهم ، وفوق أن حسن طالعهم شرفهم بسيد الخلق ، وأن الخلفاء والولاة والقواد الأمويين والعباسيين كانوا من قريش ، ودونت اللغة في عهدهم وسجلت المآثر بإشارتهم ١١

فليس صحيحا بعد هذا ما ظنه بعض النصارى من ذوبان اللهجات العربية كلها فى اللهجة القرشية ، إذ هذه الكلمة تجن على الحق والتاريخ ومجد أرومتى .

(٣) ولم يكن الفرق بين لهجة وأخرى إلا ما نشعر به من الفرق بين لغة المصريين فى مصر العليا وأسفل الأرض - الوجه البحرى - أو على الأكثر بين لهجة المصريين ولهجة الشوام لا الذى تعرفه بين اللغة الألمانية والسويسرية حيث تتكلم بالألمانية من أهل (سويسرة) نحو ٧٠٪ على الرغم من الصراع الدائم بين الألمانية والفرنسية فى سويسرا ، ذلك الصراع الذى بدأ من عهد مهيقي

بين الفرنسية والسلتية :

ومثل ذلك الصراع بين اللغة الفرنسية واللسان السلتى الذى يتفاهم به سكان مقاطعة (البريتون) غرب فرنسا ، فلا يزال كثير من شيوخ هذه المقاطعة الآن يتحدثون به .

بين السلتية والانجليزية :

بل إن دهشتنا لتظهر أوضح إذا علمنا أن هذه اللهجة -- السلتية -- ما برحت لغة تفاهم بين العامة من الأيرلنديين عصرنا هذا مع أن تغلب الانجليز عليها مضى عليه نحو تسعة قرون على الرغم من الحروب المستعرة بين الفريقين ، والقلة المتواضعة التى عليها (الأيرلنديون)

(٦) كيف استولى القرشيون على مناسك الحج :

وأما أن مناسك الحج أسندت الى قريش طواعية واختيارا فهذا أيضا ليس بصحيح وإلى القراء بيان ذلك :

من يراجع (مجمع الأمثال للبيدائى (ص ١٩٨ - ١٠) يطلع على المثل : (أحق من أبى غبشان) وكان من حديثه أن (خزاعة) حدث فيها وباء الرعاف بمكة -- وكانوا ولاية السكبة -- فخرجوا منها ونزلوا (الظهران) فرفع عنهم الوباء ، وكان منهم رجل يقال له (حليل بن خبشية) وكان زعيم خدم البيت الحرام ، وله بنت يقال لها (حبي) وهى امرأة قصي بن كلاب ، فأتى حليل ، وكان أوصى ابنته (حبي) بالاشراف على (الحجابة) وأشرك معها (أباه غبشان) الملكانى ، فلما رأى قصي أن خليلامات ، وبنوه غيب ، والمفتاح فى يد امرأته طلب إليها أن تدفع المفتاح إلى ابنها (عبد الدار بن قصي) وحمل بنه على ذلك فقال : (اطلبوا إلى أمكم حجابة جدكم) -- وهو حليل -- ولم يزل بها حتى سلمت له بذلك وقالت : كيف أصنع بأبى غبشان !! وهو وصى معي !! فقال قصي : أنا أكفيك أمره !!

تدبير المؤامرة :

فما زال يتحين الفرص حتى اجتمع أبى غبشان فى شرب بالطائف ،
(نخذعه) قصى عن (مفاتيح الكعبة) بأن أسكره ١١ ثم اشترى المفاتيح منه
برق خمر ١١ وهو فى سكرته ١١ وأشهد عليه ١١ ، ودفع المفتاح إلى ابنه عبد
الدار بن قصى ١١ وطيره إلى مكة ١١ فلما أشرف عبد الدار على دور مكة رفع
عقيرته قائلا :

مما شر قريش . هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل ، قد ردها الله عليكم
(من غير غدر ولا ظلم) ١١

بعد أن راحت السكره وجاءت الفكرة :

بعدها أفاق (أبو غبشان) من سكره أندم من الكسعى ١١ فضرب الناس
به المثل (أحق من أبى غبشان) و (أندم من أبى غبشان) و (أخسر صفقة من
أبى غبشان) فذهبت الكلمات كلها أمثالا ١١ وأكثر الشعراء فيه القول ،
فقال بعضهم :

إذا فخرت (خزاعة) من قديم وجدنا نخرها شرب الخمر
وبيعا (كعبة الرحمن) حقا برق ١١ بش مفتخر الفخور ١١
وقال آخر :

(أبو غبشان) أظلم (من قصى) وأظلم من (بنى فهر) (خزاعة)

فلا تلحوا قصيا فى ثراه ولوموا شيخكم أن كان باعه ١١

وللتأكد من هذا أرجو الرجوع إلى الأمهات من الكتب كالقاموس
المحيط ، ونهاية الأرب والاعانى . . فذلك أمر يعرفه المؤرخون والأدباء جيدا .
وفى هذا ما يدل على أن العرب لم يكن لها يد فى تولى قريش أمر الكعبة
ولم يتمكن قصى من مفاتيح الكعبة إلا بهذه السبيل ١١ ، وكان القرشيون
قبل ذلك أولى تجارة بين اليمن والشام ، وذوى مركز مالى ؛ فضم الشرف
إليهم بسدانة البيت منهم ميزة أخرى ، فأخذوا يعضون عليها بالنواجذ

وجادوا بدمائهم في سبيل المحافظة عليها . وما زالوا على ذلك حتى أشرق عليهم سيد الرسل بعد أن ثبتت أقدامهم ، وطار صيتهم ، وأثروا إثراء فاحشاً وتزلف اليهم كثير من القبائل ، فإذا ضم إلى هذا قلة تلك المدة بالنسبة لما قدمنا ، تبين لنا مبلغ المبالغة في مركز اللهجة القرشية .

وأرجو بعد هذا أن أكون قد شفيت صدر الحق ، وأوضحت حقيقة طمسها كره الغداة ومر العشى . وأعطيت ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، في هذا المجال الذي زلقت فيه مباحث المستشرقين وبعض الشرقيين من علمائنا قديماً وحديثاً ، وبين كل أولئك يظهر (فضل قومي) وجهادهم في رفع شأن العرب ولقمهم من قبل أن تخلق قريش . والله الأمر من قبل ومن بعد .

عبد العزيز مزروع الدزهرى

المدرس بالقبلة الثانوية